فى الواحـــة

نأتْ عن لذَّةِ العُمرانِ حتَّى ... كأنّ النُّسكَ تعشق والتخلى
ولم تَعرفْ سوى الصحراء مأوًى ... تفرّ اليه من خصمٍ وخـلّ
ولكنَّ الحيـاةَ أبتْ عليهـا ... وحادَ العيش فى موتٍ وذلّ
فأطلعتْ العواطفَ فى رُباها ... وأعطتْها التأمُّـلَ والتَّسلّى
فصارتْ وهى فى نُسكٍ مقيمٍ ... مثـالاً للتبتُّـل والتحلّى
كما أخفى خفوقَ هـــواه شيخٌ ... يُحجِّب لوعةَ الحُبِّ الأجلّ
بما فيها النخيـــلُ بباسقاتٍ ... شواعرَ بالضياء وبالتعلّى
توازعَ للسماء على صـــلاةٍ ... شوامخَ فى شعور المستقلّ
وكم حلَّ التناقضُ كلَّ شىءٍ ... فلم نعدمْه فى أدنى محلّ
فما تلقى القَنُوعَ بها قَنُوعاً ... وإن فتَّشْتَ فى فرعٍ وأصـلِ
وما هـذى الرمالُ وقد تعالتْ ... بأرفعَ من وهادٍ فى تَدَلّى
ولا العُشْبُ الموزَّعُ ثمَّ يحيا ... ذليـلاً ، بل تراه كمستذلّ
ولا المـاءُ الذى يُزجيه نَبْعٌ ... يَسير بغير احساسٍ ودلّ
وما صُوَرُ الضياء وقد تناهتْ ... بظلٍّ ، بعد ظِلٍّ ، بعد ظِلّ
بأبدعَ أو بأكملَ من ظِلال ... للنَّبْعِ ذاقَ من جُزءٍ وكُلّ
وتلقى للصـــلاةِ بها تجلَّتْ ... مَثَابَةَ شَيْخِها أبهى تجلّى
فجمَّلها بربوتهـــا بياضٌ ... وزيَّنها التقشُّفُ والتملّى
وجلسةُ شيخها بالبابِ حيناً ... يُسبِّح فى خشوعٍ لم يُمَلّ
لَدُنْ تَلقى الصَّبَا فيها طريحاً ... قريراً أو بتحنانِ المُطِلّ
حَوَتْ فيها العبادةُ كلَّ شىءٍ ... فكلٌّ فى طريقتِهِ يُصَلّى !

احمد زكى ابو شادى

المسحورة

من وصف ابن شادى

الزَّنبقُ المسحورُ يَرْقُبُ حُسنَها ... والنُّورُ يعبد نُورَها ويمورُ
فيصُدُّه الطُّهرُ المعزُّ جمالها ... ويَهُمُّ يلثم وجهها ويثورُ
عرضتْ عليه فتونَها فى جِلسةٍ ... الحُلْمُ فيها الفالحُ المنصورُ
ونَضَتْ ثيابَ النَّاسِ حين دِثارُها ... مُهَجٌ وفنٌّ رائعٌ وسرورُ
نامتْ كنومِ الزهرِ وهو معطَّرٌ ... والجوُّ من أنفاسِهِ مغمورُ
وتزاحمتْ للذكرياتِ أشعَّةٌ ... والذكرياتُ جميلُها موفورُ
نامتْ على إلهامِها ونعيمِها ... ومِن التخيُّلِ نعمةٌ وحبورُ
وقد احتواها الصَّمتُ فى إيوانه ... وكسا الجمالَ المستقلَّ النورُ
يتأمَّل القَدَرُ العتيُّ بهاءها ... طرِباً ويرعى الحُسْنَ وهو فخورُ
ما كان مثالٌ يقدَّس فنُّه ... بأحقَّ مِنْ وحى له التعبيرُ
جُمِعَ الجمالُ مع الجلالِ حيالَها ... فتشرَّبتْهُ عواطفٌ وشعورُ
يتذوَّقُ الفنَّانُ من تكوينِها ... وكأنه نَغَمٌ سَرَى وعبيرُ
ويحار فى السِّحر الذى خَضَعَتْ له ... حين الوجودُ ازاءها مسحورُ
وكذا الحياةُ عزيزُها كذليلِها ... ولقد يُساوى الآسرَ المأسورُ !

الزعيم

ومُخَرَّقٍ عنه القميصُ تخالُهُ ... بين البيوتِ من الحياء سقيمَا
حتى اذا رُفِعَ اللواءُ رأيتَه ... تحتَ اللواء على الخميسِ زعيمَا !

فى هذين البيتين من الشعر القديم المأثور صورةٌ فنيةٌ رائعةٌ ، وكأنهما فصلان سريعان من فصول السينما ، ولكنهما على أبهى وضوحٍ . ونحن نسر بتحليلِ فنيٍّ لبلاغتهما المعجزة ، ولعلَّ قراءنا الافاضل يتسابقون إلى ذلك .